اسم المؤلف : Samuel Rolbant

عنوان الكتاب :

The Israeli Soldier; A profile of an Army.

الناشر : Thomas Yoseloff, London, 1970

عرض : محمد عبد الرءوف سليم

يدرج هـــذا الكتاب – ضمن ثمة طويلة من الكتب التى أصدرتها إسرائيل ، أو ساهمت فى إصدارها ، أعقاب يونيو ١٩٦٧ بهدف إيهام الرأى العام العالمى بأن إسرائيل تمتلك قوة ضاربة لاتقهر .

وكان المثقفون العرب بعد قراءة هذه الكتب أو بعضها – تزداد معاناتهم من داء التمزق النفسى والوجدانى الذى انتابهم بعـــد المواجهة العربية الإسرائيلية الثالثة ، غير المشرفة .

لم يكن هناك يأس ولكن واقع الهزيمة كان مريراً .

وكان تحت الرماد جمر .

والآن – وقد استعدنا ثقتنا بأنفسنا بعد أكتوبر ١٩٧٣ ، علينا أن ندرس أبعاد الصراع العربى بأسلوب جديد . إن ذلك يضعنا أمام معضلة صعبة ، نريد من جهة أن نضع نصب أعيننا حقيقة الموقع الذى ننطلق منه فى دراستنا لمجتمع يناصبنا العداء ، ومن جهة ثانية ، نشترط على أنفسنا عدم الابتعاد عن نطاق الموضوعية ومعطيات الواقع الراهن ، حتى يتسنى لنا بالتالى فهم المجتمع العدو على حقيقته .

ولابد من الإشارة إلى أن هناك دراسات عربية ما زالت ترزح تحت

وطأة التكهن ، وتنساق وراء الأهواء والعواطف ، وتتردى فى منزلقات تفسيرية خطرة للغاية . فإما أن يكون هناك مبالغة فى تقدير قوة العدو ، وإما أن ينتابنا الغرور فى تقدير قوتنا .

والكتاب الذى نعرض له الآن - يحوى الكثير عن أسس بناء الجيش الإسرائيلى والنظم العسكرية الإسرائيلية . ورغم أن مؤلفه — صمويل رولبانت — كتبه وقت أن سادت بين الإسرائيليين نشوة الانتصار السريع الذى حققوه فى يونيو ١٩٦٧ ، إلا أن هناك قضايا ومسائل تبرز ماثلة للعيان أمام قارىء الكتاب .

أما صمويل رولبانت ، فقد درس العلوم السياسية فى جامعة لندن ، وعين عضواً فى المجلس الاستشارى للتعليم فى القوات العسكرية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، كما حاضر فى مجموعات من أفراد الجيش الثامن الأمريكى وقت أن كان مرابطاً فى بريطانيا .

وقد عمل صمويل رولبانت فى القوات الاحتياطية بالجيش الإسرائيلى كضابط معلم ، وحاضر فى المبعوثين من الخارج للدراسة فى الجامعة العبرية فى مادة « الحضارة الإسرائيلية » ، فضلا عن أنه ألقى محاضرات فى الأكاديمية التعليمية التابعة للجيش الإسرائيلى بالقدس .

وقد صدر لصمويل رولبانت بعض المؤلفات باللغة العبرية ، كان آخرها كتاب بعنوان « دولة إسرائيل فى المجال العلمى » ، وقد نشر فى ١٩٦٨ .

وقد تدخلت مقننات معينة فى تشكيل طبيعية تكوين الجيش الإسرائيلى، منها العمق الاستراتيجى لدولة إسرائيل . وقد سعى بعض المفكرين إلى تعريف الاستراتيجية بأنها فن تحريك القوات ، كما أن جوهر العمق الاستراتيجى يكمن فى خلق حيز واسع من الأرض والبحر بين القواعد

الرئيسية التى تعوق وتسير عجلة المجهود الحربى . وقد أصبح العمق الاستراتيجى ضروريا للنجاح فى أى حرب حديثة تستخدم فيها القوات الميكانيكية والجوية والصاروخية ، كما أن العمق الاستراتيجى يساعد فى العمل كمخفف صدمة لامتصاص الضربات المعادية حتى تتهيأ الفرصة لتوجيه الضربات المضادة .

وقد كان لظروف إسرائيل من ناحية شكل الدولة وحجم القوة البشرية، وكونها محاطة بدول معادية أثره فى كيفية بناء الجيش الإسرائيلى .

ذلك أن رقعة إسرائيل - قبل يونيو ١٩٦٧ - بلغ اتساعها ٢٠,٧٠٠ كم٢، تمتد على مدى طولى يصل إلى ٢٦٥ ميلا ، كما أن إجمالى طول حدودها البرية بلغ ٥٩٠ ميلا . وكان عرض أوسع جزء فى تلك الرقعة ٧٠ ميلا ويقع جنوبى بئر السبع . ويأخذ هذا العرض فى الانكماش فى اتجاه الجنوب حتى إيلات على شكل مثلث حيث يبلغ ستة أميال تقريبا . ويصل أدنى عرض لها إلى ١٤ كم فى المنطقة المحصورة بين قلقيلية فى الضفة الغربية لنهر الأردن وتل أبيب .

وهكذا أصبحت الدولة تعيش على شريط طويل من الأرض يقل عرضه فى بعض الأجزاء إلى درجة كبيرة الأمر الذى لا يوفر لها العمق الاستراتيجى الكافى .

وتزداد المشكلة حدة إذا وضع فى الاعتبار أن المدن الكبرى ليست بعيدة عن الحدود . فتبعد حيفا حوالى ٢٥ ميلا عن أقرب نقطة على الحدود مع الأردن ، بينما تبعد تل أبيب ١٢ ميلا فقط.

ولو نظرنا للطاقة البشرية الإسرائيلية ، نجد أن تعداد إسرائيل الذى بلغ حتى نهاية ١٩٦٣ ما يقرب من ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ نسمة لا يسمح بالاحتفاظ بقوات عسكرية ذات حجم كبير .

أما من الناحية الاقتصادية ، فإن إسرائيل لا زالت حتى الآن تعتمد فى معادلة ميزانيتها على المساعدات الخارجية . ويمكن القول أن افتقار إسرائيل إلى الموارد الطبيعية لن يمكنها من بناء اقتصاد متين فى وقت قريب . ولا شك أن ذلك لن يسمح بتوفير النفقات المالية اللازمة لإنشاء قوات ذات حجم كبير .

من هذه اللمحة السريعة يتضح بجلاء أن الهالة التى أحاط مؤلف الكتاب الجيش الإسرائيلى بها ترتكز على أساس هزيل .

ويتعرض المؤلف للأسس العسكرية لتكوين جيش «الدفاع» الإسرائيلى، فيشير إلى منظمة هاشومر ، ثم الكتائب الصهيونية الثلاث التى تكونت أثناء الحرب العالمية الأولى ، والتى تحولت فيما بعد إلى المنظمة العسكرية الارهابية المسماه بالهاجاناه أى « قوات الدفاع » . وكان يقوم على إدارتها مجموعة منتخبة من قيادات الوكالة اليهودية فى فلسطين، والمجلس الوطنى ليهود فلسطين « فاد لئومى » . ثم اعتمدت الخبرة العسكرية ليهود فلسطين قبل ١٩٤٨ على المنظمات الارهابية الأخرى — الإرجون واشترن وغيرها ، وعلى اليهود الذين تطوعوا فى صفوف القوات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية .

وفى صيف ١٩٤٢ ، وعندما كان روميل يتجه بقواته نحو مصر ، نشأ تعاون بين القوات العسكرية البريطانية والهاجاناه . فقد درب البريطانيون مجموعات طلائعية يهودية على أعمال الكوماندوز ، ونتج عن ذلك تكوين قوة ضاربة محمولة . كذلك دربت مجموعات يهودية أخرى على الهبوط بالمظلات ، والاتصالات اللاسلكية، والأعمال التخريبية . يضاف إلى ذلك أن بعض يهود فلسطين دربوا على العمل كطيارين فى القوات الجوية الملكية البريطانية ، وقد شارك هؤلاء فى مراحل مختلفة فى أوربا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وعلى ذلك فلم يكن غريباً أن تكون نواة القوات الجوية الإسرائيلية من ٩ طائرات ، وخمسة وعشرين طياراً — دربوا قبل قيام دولة إسرائيل بأعوام .

وهكذا ــ فإن المؤلف يكشف دور البريطانيين فى وضع أسس التكوين العسكرى الإسرائيلى ، فقد تركوا المنظمات الإرهابية اليهودية فى فلسطين تمارس عملها ، ثم سمحوا لبعض الشبان اليهود بالتدريب العسكرى على أحدث فنون القتال أثناء الحرب العالمية الثانية ، كما شاركوا عمليا فى خلق نواة القوات الجوية الإسرائيلية .

وقبيل نشوب القتال عام ١٩٤٨ ، أعلن عن تشكيل جيش الدفاع الإسرائيلى ، بعد أن اندمجت مختلف المنظمات والعصابات الإرهابية والجمعيات السرية اليهودية إلى جانب اليهود الذين دربوا فى الجيش البريطانى أثناء الحرب العالمية الثانية .

وقد بدأت السلطات الإسرائيلية فى أعقاب قيام الدولة فى تنظيم القوات الإسرائيلية بهدف القضاء على الصراعات والمنازعات على السلطة بين المنظمات الإرهابية المختلفة .

وتتخذ الخدمة العسكرية فى إسرائيل أربعة أشكال هى الخدمة الدائمة ، والخدمة الإجبارية ، وخدمة الاحتياط ، وخدمة الدفاع المدنى .

أما الخدمة الدائمة ، فتضم الضباط وضباط الصف والفنيين الذين يقبلون الخدمة بالتطوع لمدد طويلة بالقوات المسلحة الإسرائيلية . ويكون هؤلاء أساس الجيش الإسرائيلى ، ويتولون قيادة الجيش ، وتدريب القوات المحاربة ، والإدارة والأعمال الفنية التى تحتاج لمستوى عال من الخبرة ، ومنها دراسة وتطوير النظريات الحربية بما يتفق مع الاستراتيجية الإسرائيلية .

ويخضع جميع المقيمين فى إسرائيل بصفة دائمة لقانون الخدمة العسكرية الإجبارية . غير أن العرب لا يجندون ، وإنما يقبل تطوعهم فى حدود ضيقة جداً .

وقد نظمت وحدات الاحتياط على أساس إقليمى لتسهيل التعبئة ، ولها

كادر صغير من الأفراد النظاميين يتكون من القائد والكتبة وأفراد الصيانة. وتنقسم وحدات الاحتياط إلى وحدات الخط الأول وتضم الاحتياطيين حتى سن ٢٩ سنة ، ووحدات الخط الثانى وتضم الاحتياطيين حتى سن ٤٥ سنة .

ولما كانت طبيعة الصراع العربى الإسرائيلى تفرض حاجة الإسرائيليين إلى توجيه ضربة مفاجئة للعرب تبعاً لنظرية «فرض السلام بالقوة العسكرية» التى نادى بها بن جوريون ، ووجوب أن تكون المواجهة المسلحة مع العرب خارج حـــدود الدولة الإسرائيلية بسبب ضحالة العمق الاستراتيجى الإسرائيلى، فإن مبدأ سرية التعبئة يصير على درجة بالغة الأهمية مع الإسراع فى إنجاز التعبئة السرية قبل تسرب أخبارها إلى الخارج .

أما خدمة الدفاع المدنى ــ أو الحرس الوطنى ــ فينتظم فيها الرجال فقط من سن الخامسة والأربعين حتى التاسعة والأربعين . وتشكل منهم فرق الإنقاذ والإسعاف وإطفاء الحريق التى يكونها جهاز الدفاع المدنى الخاضع لإشراف وزير الداخلية .

على أن اعتماد الجيش الإسرائيلى أساساً على المدنيين ، وخوض هـذا الجيش قتالا طويلا ، من شأنه أن يشل الاقتصاد الإسرائيلى ، ويلحق بالبلاد خسائر مادية جسيمة .